Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852 / EISSN 2830-8719
V:14, N:2 – 2024, P.P :98-112

سلسلة الأنوار
ر د م ك: 2716-7852 / ر ت م د إ: 2830-8719
المجلد 14، العدد 2- 2024، ص.ص: 98-112

أنطولوجيا النسيان رهانا لتأسيس ذات الإنسان عند بول ريكور.

Forgotten Antology is a Challenge to establish the same human when Paul Recor.

الباحثة عشي أنيسة

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان/ الجزائر anissaachi@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام : 2023/08/02؛ تاريخ القبول : 2024/02/03 ؛ تاريخ النشر : 2024/05/20

الملخص

إن الذات الإنسانية غالبا ما تتموقع محطة سجال بين سلطة الذاكرة وظاهرة النسيان على مر تاريخها الأنطولوجي، إلى أن أخذت مشروعيتها في الفكر الفلسفي خاصة مع الفرنسي بول ريكور، الذي أعاد النظر في تأسيس الذات الإنسانية وعلاقاتها مع الآخر، من خلال تكريس جدلية التذكر والنسيان كسبيل لبلورة الوعي بالذات، ثم تأسيسها في خضم رهانات العصر القائمة على ثنائية مفاهيم الهوية والغيرية، الاختلاف والاعتراف، العنف و التسامح.. مما يدفع للتساؤل حول كيفية اعتماد النسيان كذريعة لإعادة صياغة مفهوم الذات الإنسانية حسب الفلسفة الريكورية؟

الكلمات المفتاحية : – الذات والآخر – الذاكرة والنسيان – التسامح – الوعي– الاعتراف – العلاقات الإنسانية.

Abstract

The human self often sparring between the power of memory and the phenomenon of forgetfulness throughout its anthropological history. s legitimacy in philosophical thought, especially with the French Paul Récor, Who reconsidered the establishment of the human self and its relations with the other by enshrining the argument of remembrance and forgetfulness as a way of developing self-awareness, It was then founded in the midst of today's stakes based on the binary concepts of identity and heterosexuality, difference and recognition, violence and tolerance. Which leads to the question of how to adopt forgetfulness as an excuse to reformulate the concept of the human self according to the Ricorian philosophy?

Keywords : Self and the other -Memory and forgetfulness. -Tolerance-Awareness - Recognition -Human relations.

1. المقدمة:

تعتبر الذاكرة عنصر أساسي في الجهاز الدماغي للإنسان، نظرا لما تقوم به من استرجاع أحداث الماضي في الحاضر باعتماد آليات التذكر، فتعمل بفحص التجارب الحسية التي كانت في الماضي و تعالجها في الحاضر. إلا أنها غالبا ما يجابهها سطو النسيان الذي يقلل من قدراتها، لتصبح بذلك جدلية الذاكرة والنسيان الشغل الذي اهتم به الفلاسفة منذ القدم.

إلا أنها أخذت حيزا كبيرا من الاهتمام في الفترة المعاصرة من تاريخ الفكر الفلسفي، خاصة مع الفرنسي بول ريكور (1913 – 2005) الذي اهتم بدراسة العلاقات الإنسانية، باعتماد مبادئ الاختلاف والتسامح و الاعتراف لضمان سبل التعايش معا. ولا يسعه الالتزام بذلك إلا تحت سلطة الذاكرة و فعل التذكر من جهة و ظاهرة النسيان من جهة أخرى، ليخلص إلى تأسيس ذات الإنسان وفق ذاكرة سعيدة من خلال تجاوز الماضي و درء العنف و محاكاة السلم.

كما يؤسس هذا إلى احترام الآخر الذي هو بكنف ماضينا و من ثم إلى الاعتراف به كشخص مثلنا إلى التسامح معه لتحقيق إرادة العيش المشترك. و قد يكون هذا الماضي شخص أو موقف أو حادثة وقعدت معنا، لذا ما يسعى إليه النسيان هنا يكمن في التصالح مع كل معترك أصبح في سجل الماضي.

لكن أمام رهان فعل التذكر كيف يمكن للنسيان ممارسة فعل التحدي على سلطة الذاكرة لصناعة الوعي بذات الإنسان ؟ أو بعبارة أخرى إلى أي مدى يؤخذ النسيان كذريعة لبلورة و تأسيس الذات الإنسانية حسب الفلسفة الريكورية ؟

و تأسيسا على هذا الإشكال المحوري يمكن بلورة الفرضيات الآتية:

1- ربما حفاظا على سعادة الذاكرة و حمايتها من القصور و الطابوهات التي غالبا ما تهدد سلامتها !

2- كما يمكن اعتبار النسيان كمبدأ أخلاقي يؤسس لقيم التسامح لتعزيز إرادة العيش المشترك !

3- أو ربما قد يكون النسيان حالة باثولوجية تسعى لتحرير الذات الإنسانية من آلام الماضي وجراحه !

و قد تم اختيار هذا الموضوع بهدف إثارة الوعي حول مفهوم النسيان أنه ليس مجرد مرض يصيب الذاكرة كما تمت الإشارة إلى ذلك بمتن المقال فحسب، ليكتسي النسيان بذلك حلة أكسيولوجية تقوم

على أساس أخلاقي يكمن في اعتماد قيم العفو و التسامح، لتطهير الذاكرة من كل حدث أليم أساء إليها، لأن كل من هذا يساعد على تأسيس الذات الإنسانية المتسامحة مع غيرها، و هذا يعتبر اعترافا به و تقديرا له، كما يعزز ذلك لتأسيس قواعد العيش المشترك وفق أسس ايتيقية.

كما اقتضى هذا البحث منهجا تحليليا تجلى في تحليل واجب الذاكرة و عملها مقابل سطو النسيان و أهميته في تأسيس ذات الإنسان، فضلا عن تحليل كيفية اعتماده كسبيل لتحدي سلطة الذاكرة.. وكذا اعتماد المنهج النقدي من حيث نقد قصور الذاكرة و مواجهتها لشبح النسيان بفعل التحدي، كذلك نقد موقف الفكر الريكوري من ظاهرة النسيان و دورها في تأسيس ذات الإنسان.

1 – الذاكرة و أصنافها :

قد ساهم ريكور في تأسيس مفهوم جديد قائم على ما سمّاه بفينومينولوجيا الذاكرة التي تتماشى مع اتجاهه الفلسفي العام.. فالذاكرة هي أساس الشهادة و الأرشيف الموثق لكل مجريات التاريخ، لذا تعتبر كمورد أساسي يحيلنا إلى الماضي.

قام ريكور بتصنيف الذاكرة إلى ثلاث مستويات ألا و هي:

– المستوى المرضي و العلاجي: و هو متعلق بالذاكرة المعاقة Empêcher تتصل بالتحليل النفسي و تواجه لمقاومة آلام الماضي و جراحه.

– المستوى العلمي: متعلق بالذاكرة المحرفة و المتلاعب بها Manipuler و ذلك إثر تعرضها للتشويه من طرف الإيديولوجيات و المناسبات الناتجة عن التذكر المجبر بالقوة.

– المستوى الأخلاقي و السياسي: و هو متعلق بالذاكرة الإلزامية Obliger بمعنى استحضار الذاكرة تعسفيا و خضوعها لمبدأ الواجب و الإلزام حين يتناغم الاحتفال بالذكرى مع إعادة التذكر فتتحول بذلك إلى أداة التي تنص على تذكر هذا دون ذاك. (ريكور، 2009، صفحة 104).

و يعد المستوى و الصنف الأخير (الذاكرة الإلزامية) من المواضيع السياسية و الأخلاقية الآنية التي تشير إلى مختلف المبادرات المنسجمة وفق اتفاق و مصالحة في الحاضر و المستقبل،مما يعزز تكريس قيم الحرية و الإنصاف و العدل و من ثم التحلي بروح المواطنة الحرة و المشاركة في مؤسسات

النظام الديمقراطي، و ذلك الاعتراف بالآخر و بذاكرته و بحقه في ذاكرة مشروعة. (callon, 2002, p. 326)

أما إذا كانت الذاكرة تقع تحت تأثير الأمراض كما أشار إلى ذلك علم التحليل النفسي و علم أصاب الدماغ العقلي، فإنها ستقع حينها للمراوغة و التلاعب، في الآن نفسه الذي يمكنها أن تحظى بالحالات السعيدة كالاعتراف و التذكر الارتدادي و غيرها من آليات الكبت التي تحجب ما أصابها من آلام وصدمات، و هذا قد يكون على مستوى الذاكرة الفردية أو الجماعية.(Dosse, 2001, p. 148)

ويعتبر هذا من أهم عوامل إساءة استخدام الذاكرة و التلاعب بها بسبب الإيديولوجيات التي هي محاولة لإصغاء الشرعية على السلطة أي الوثائق التذكارية المشتركة من خلال سرد القصص، إذ تساهم عملية السرد في تكوين الهوية سواء للشخص أو للمجتمع أو للدولة، لتصبح بذلك الوظيفة الانتقالية للسرد توفر للتلاعب بالذاكرة فرص و سبل ماكرة تتكون منذ البداية في إستراتيجية النسيان بقدر ما هي تذكر.

2 – علاقة الذاكرة الفردية بالذاكرة الجماعية عند بول ريكور:

إن الانتقال من الذاكرة الفردية غلى الذاكرة الجماعية أهم الروابط بين الذاكرة و التاريخ في حين إذا كان التاريخ شكلا من أشكال الذاكرة الجماعية فإنه يخضع في المقابل لنفس الانتهاكات التي تتعرض لها الذاكرة الفردية. (إبراهيم، 2015، صفحة 103)

وهنا يمكن طرح السؤال حول كيفية الانتقال من الذكريات الفردية إلى الذكريات الجماعية؟

بعد دراسة ريكور لنظريات القديس أوغسطين و جون لوك و إيدموند هوسرل حول الذاكرة الفردية خلص للحديث عن الذاكرة الجماعية بفكرة هوسرل عن البينذاتية.

الذاكرة الجماعية قد تكون بين شخصين أو أكثر ليصبح بذلك فعل التذكر متبادلا، أي الذات تساعد الآخر على التذكر و العكس صحيح، فتخضع إثر هذا الذاكرة الجماعية إلى تأسيس هوية الذات الفردية و هوية المجتمع في كليته.

وفي هذا السياق يجدر ذكر تحليل ريكور لنظرية موريس هالفاكس حول الذاكرة الجماعية التي تذكرنا بدورها على مدى حاجة الذات الإنسانية إلى الآخرين فعلا، معتبرا بذلك ريكور أن الأقارب عبارة عن

وسيط بين الذاكرة الفردية و الذاكرة الجماعية نظرا للعلاقة الموجودة بينهم و بين الذوات التي تجمعهما معهم صلة القرابة، هنا يكمن علم الظواهر للذاكرة. (ريكور، 2009، صفحة 161)

كما أن تذكيرنا بماضينا من طرف غيرنا و تذكرنا نحن لماضي غيرنا، يجعل كل الذكريات حية ومحفوظة في ذاكرة الآخرين و هو ما يشرحه ريكور في قوله: " إننا ندرك أن تحقق الغائية النهائية لذواتنا غير قابلة للتحقق إلا في استكمال الآخرين لحياتنا من بعد رحيلنا و في حفظهم لذاكرتنا من النسيان، و في استذكار آثارنا و مآثرنا عبر الزمن ". و هذا يعني أن محاسن الذاكرة الجماعية لا يعني عدم وجود مساوئ بها، إذ أشار علم التحليل النفسي إلى أنها تقوم بانتقاء ما يناسبها من الذكريات، فتقوم بتذكر ما ترغب و تكبت ما ترفض، و في هذه الحالة سواء كان فردا أو مجتمعا هو المسؤول عن إساءته للذاكرة، ناهيك عن الإساءة النابعة من الوضع السياسي بإيديولوجياته التي لها دور في تشويه الذاكرة، من خلال تلقين الفئة الناشئة لمعارف تاريخية مزيفة، و التي تؤثر بدورها في باقي فئات المجتمع، أو تتوارث عبر الأجيال لتصبح بذلك ذاكرة ناقصة، و هو ما يسمى بفعل التنسية الذي يساعد الحكم السياسي على تحقيق مبتغاه السلطوي. (تمسك، 2015، صفحة 18)

3- واجب الذاكرة :

إذا كانت الصدمة تحيلنا إلى الماضي من أجل الذاكرة، فإن القيمة المثالية توجهنا نحو المستقبل. (ريكور، 2009، صفحة 144)

إن واجب الذاكرة حسب ريكور يجد مغزاه و يتحرر من الإكراه عندما يرتبط بفكرة العدالة التي تعطي الواجب للذاكرة شكل المستقبل و الأمل، لأن العدالة من أهم الفضائل التي تتجه بطبيعة تكوينها وامتيازها نحو الغير، مما ينم على أن فضيلة العدالة تشكل العنصر المكون لغيرية كل الفضائل التي توثق العلاقة بين الذات عينها و الآخر، ليتضح بذلك أن واجب الذاكرة هو واجب إقامة العدل عن طريق ذكرى لآخر غيرنا. بمعنى الذاكرة ترتبط بالعدالة و بواجب الإنصاف نحو الآخر بواسطة عملية التذكر.

كما أن الاهتمام بالذاكرة يساعد على التئام جراح الذاكرة المعطوبة و ما تحتويه من آلام و صدمات، ذلك لأن واجب الذاكرة لا يقتصر على الاحتفاظ بالأثر الكتابي أو غيره للوقائع الغابرة، بل يكمن

واجبها في تنمية الوعي و الشعور بأننا ملزمون نحو الآخرين الذين نقول عنهم فيما بعد لم يصبحوا موجودين لكن سبق و أن كانوا.. (ريكور، 2009، صفحة 148)

هذا و إن أفضل استعمال لجراح الذاكرة يبدأ بممارسة عمل الذاكرة و العتبة التي يمكن تجاوزها ومجابهتها ألا و هي "عتبة النسيان"، أي محو الأثر و صعوبة تذكر التجارب المؤلمة.

4- عمل الذاكرة بين فعل التذكر و سطو النسيان :

إن تخزين الذكريات يتم بطريقة لاواعية لأن الوعي يختص بما هو حاضر و ماضي، و كل فرد يكون في حالة لاوعي يتم انتقاله إلى مجال الوعي من خلال التذكر و الاسترجاع، ليأخذ بذلك اللاوعي معنى النسيان الإيجابي الذي هو ضمن وظائف الذاكرة الانتقالية. (ريكور، 2009، صفحة 518)

كما أن البقاء صور الماضي في حالة كمون تعني أن حاضرا معينا بمجرد ظهوره يصبح ماضي نفسه، ذلك لأن فكرة الكمون تستدعي فكرة اللاوعي التي تؤدي بدورها إلى فكرة الماضي، فتصبح بمثابة ذكريات موجودة بالفعل لكن يستعصى معرفتها، و هذا ما يجعلها في طي النسيان. أما كمون الذكريات يعني بقائها في حالة نسيان سواء من ناحية تذكرها أو من ناحية وجودها في حالة اللاوعي، لنخلص بذلك إلى مفاد أن النسيان يشير إلى عدم إدراك الذكريات و الوعي بها. (ريكور، 2009، صفحة 644)

إن الذاكرة لا تحتفظ بكل شيء عن الماضي و لا ترمي ماله علاقة بالماضي في سلة النسيان، بل الذاكرة في طبعها العادي و حالتها السليمة تعمل على تصنيف آثار و مخلفات الماضي، و ذلك من خلال الفصل بين الماضي و الحاضر "أي دفن الآثار"، أو من خلال ما تسعى الذات المحافظة عليه من شواهد الماضي و ما تسعى للتخلص منه. (ريكور، 2009، صفحة 148)

ليصبح بذلك عمل الذاكرة حيوي يميز بين الماضي و الحاضر، إذ ينطلق من الماضي لوعي و فهم الحاضر كي تضع الذات خطا فاصلا تميز من خلاله بين الواقع المعيش و ما هو ماضي، أي بين اللحظة الآنية التي نعيشها و الزمن الماضي الذي عايشناه، هنا تكمن الأهمية الحيوية لعمل الذاكرة الذي يجب القيام به. و ذلك لدرء المساوئ التي عايشتها الذات في الماضي، ليتضح أن واجب الذاكرة

واجب الإنصاف بين الذات و الآخر، لأن التعايش بين الذات و الآخر يتطلب تعايش ذاكرة الذات مع ذاكرة الآخر. (ريكور، 2009، صفحة 205)

من جهة أخرى يصف ريكور الذاكرة إيديولوجيا فضاء الذاكرة المتلاعب بها، إذ تواجه الذات سياسة إلغاء الذاكرة كإلغاء الأسماء التاريخية للشوارع و استبدالها بأسماء أخرى تخدم الإيديولوجية السياسية، و هذا تدمير قصدي في حد ذاته للإرث التاريخي يسعى لتحقيق إستراتيجية ماكرة تقوم على إستراتيجية النسيان. أما في الحالة التي تتعرض فيها الذاكرة إلى سوء الاستعمال، يشير ريكور إلى عمل الذاكرة الفعلي الذي يمارس النقد، من خلال عملية التصنيف و الترتيب ثم التحقيق. (ريكور، 2009، صفحة 148)

لنخلص بذلك أن الذات لا تأخذ كل شيء من الماضي، بل تسعى لنسيان جزء كبير منه و تجعله في المكبوت، كأن تتحول الذاكرة إلى ذاكرة انتقائية تختار ما تريد من الماضي و ما تسعى لاستحضاره، أما مالا تريده يندرج ضمن المحضور و المكبوت، (ريكور، 2009، صفحة 135) ذلك لأن الماضي هو جزء من حاضرنا و أساسا للتطلع على مستقبلنا، لذا عملية تذكر ما هو ضروري في حياتنا ونسيان ما هو عالة عليها، أضحى من اللزوم تجسيده و العمل به من طرف الذات الإنسانية.

4- الذاكرة في مواجهة النسيان (جدلية الذاكرة و النسيان) :

إن ما يسمى واجب الذاكرة يقتضي بالأساس واجب عدم النسيان، لذا البحث عن الماضي يكمن في تعليم عدم نسيانه، بمعنى واجب الذاكرة هو بالأساس واجب عدم النسيان، و في هذا السياق يقدم ريكور ثلاثة عوامل أساسية متصلة بهشاشة و ضعف الذاكرة، و تتمثل في العلاقة بالزمن و العلاقة النزاعية بالآخر و العلاقة بميراث العنف التأسيسي، و الذي يعني به لا وجود لمجتمع عبر التاريخ نشأ من دون علاقة يتخللها العنف و الحرب و الصراع... ما يعرف بالأحداث المؤسسة. (Ricoeur, 2000, p. 99)

هنا وجب التحلي بالشجاعة في مواجهة النسيان بمحو الأثر و جمع الذكريات و حفظها من خلال مؤسسات و قوانين في البحث و الحفظ، و كسبيل لذلك الاعتماد على السرد و الرواية و القصص مع الاستمرار على المداومة دون الانزياح أو الخروج عن موضوع العدالة.

إذ تقوم وظيفة القصص و الروايات و السرد بتثبيت وظيفة الذاكرة المؤدلجة، من خلال القصص التي تروي المجد و الذل، الانتصار و الهزيمة و يكون العنصر الإيديولوجي حاضر في عملية التشويه و التزوير، و ذلك إثر لعبة القسمة بين تاريخ رسمي و مسموح به و تاريخ منسي مرفوض و غير معترف به. (ريكور، 2009، صفحة 143)

إن عمليات السرد المختلفة يتم الربط فيها بين الذاكرة و تشكل الهوية أو تشكيلها بأحداث سواء معترف بها أو غير معترف بالهويات الأخرى.. فكل من هذا يعزى للسرد المدعوم بإستراتيجية ماكرة للتذكر و النسيان. (ريكور، 2009، صفحة 98)

فعملية التدوين و الكتابة تساهم في السرد الذي يعالج مسألة بعد المسافة، فالهوية التي يقوم ببنائها السرد هي الهوية الثابتة المتماسكة أمام التغيرات في العالم، يعني بالإمكان أن تتغير الأحداث والأزمنة دون أن تتغير حقيقة السرد في ترصد ذلك التغير، و هذا ما يضفي عليها الطابع الموضوعي ويحررها من الذاتية التي غالبا ما تكون خارقة للحقائق... (تمسك، 2015، صفحة 17).

5- النسيان و أصنافه :

النسيان يعتبر ظاهرة نفسية إنسانية و هو عكس التذكر و الاستدعاء أو الاسترجاع، و يتمثل في الفقدان الكلي أو الجزئي للمعرفة. (إبراهيم، 2015، صفحة 201)

إن النسيان يشكل تهديدا للذاكرة و التاريخ، و الأرشيف هو الأول من يتصدى للنسيان و محو الآثار، كما يظهر النسيان نظير الذاكرة (ريكور، 2009، صفحة 584) أي هو الوجه الآخر الواقع في ظل المنطقة المضاءة للذاكرة، و لأن موعد ظهوره غير معلوم فهذا يعني لا وثوق خالص بالذاكرة. (ريكور، 2009، صفحة 64)

ليبقى بذلك التذكر الناجح هو ما نسميه بالذاكرة السعيدة. و ما يميز الذاكرة عن التذكر هو سهولة الاستحضار من استعصائه، لذا يعتبر بمثابة الخط الفاصل بين حضور الذكرى البحت و فعل التذكر، أما عند الاستعصاء فهذا يعني إصابة الذاكرة بالعجز و الضعف، و ما يهددها هو موجود في ثناياها ألا و هو النسيان، الذي يهدد بدوره فقدان التاريخ الماضي و المعارف و الهوية، لذا يعتبر النسيان

ليس برمز هشاشة الذاكرة فقط، بل إنه رمز هشاشة الوضع التاريخي بأكمله. (ريكور، 2009، صفحة 53)

هذا و يحدث النسيان نتيجة تلف دماغي، كما جاء على لسان "ريبو" أو فقدان الإرادة و الخوف... لذا قد نتذكر ما نريد نسيانه لشدة اهتمامنا به و ننسى ما نكون بحاجته. (ريكور، 2009، صفحة 428) و لأن البداية كانت ماضي فالإنسان يريد أن يفهم حاضره و مستقبله من خلال ماضيه، ما يعرف بكينونة الأبعاد الثلاثية، و هنا تعتبر الذاكرة كذريعة أساسية لتنقل الأحداث عبر الزمن.

و هناك عدة أشكال للنسيان، فقد يكون النسيان الاحتياطي و هو غالبا ما يخيفنا كأن ننسى كل شيء في الحين يسعدنا كأن نتذكر جزء من الماضي منتزع من النسيان، و ذلك بإذن من الدماغ و بهذا تكون الذاكرة غير مكترثة، أما النسيان العميق فيكون عن طريق محو الآثار.. (ريكور، 2009، صفحة 608)

هنا نميز بين ثلاثة أنواع من الآثار ألا و هي الآثار المكتوبة و الوثائق التي يدونها المؤرخون، أيضا الآثار النفسية و الانطباعات التي تحدثها الصدمات في المجال الباثولوجي، و الأثر الدماغي الذي يعالجه الطبيب و هو ما تدرسه علوم الجهاز العصبي. (ريكور، 2009، صفحة 518).

6- النسيان و الخطاب الفرويدي :

قد انطلق ريكور من الخطاب الفرويدي من خلال الربط الحتمي بين الفهم و الرموز و العلامات و تأويلها من جهة، و فهم الذات من جهة أخرى، (درويش، 2016، صفحة 103) و عند صعوبة الفهم المباشر للذات يؤكد ريكور أنه لابد أن يكون الكوجيتو متوسطا بعالم الرموز و العلامات، ليتضح بذلك أن الفكرة الأساسية التي انطلق منها ريكور في تأويله للنظرية الفرودية هي المكان الفلسفي للخطاب التحليلي كما يحدده مفهوم أركيولوجيا الذات. (درويش، 2016، صفحة 104)

حسب ريكور أن فرويد بإمكانه المساعدة على إقصاء جزء من الارتباك أو الحيرة المتعلقة بالذات الفاعلة، إذ ينتج عن هذا الارتباك عدم التمييز بين لحظة اليقين القاطع بوجود الذات الفاعلة، و لحظة الملائمة و معرفة ماهية هذه الذات، ألا و هي لحظة يقين الكوجيتو و اليقين الحصين من كل شك أو توهم أو الوقوع في الخطأ. (درويش، 2016، صفحة 105)

ليخلص أن التحليل النفسي عبارة عن أركيولوجيا للذات الإنسانية، و يتطلب بذلك إدراك المعنى في حركة نكوصية تنتقل من المعنى الظاهر الموجود في الشعور إلى المعنى الباطن الموجود في ساحة اللاشعور. (درويش، 2016، صفحة 106)

هذا و يتبنى ريكور فكرة الذاكرة المحجوبة كنوع أول من النسيان يقتبسه من فرويد أنه بمجرد تجربة شيء ما تعيشه الذاكرة في شكل صدمة مروعة، فتصبح إما غير قادرة على تجاوزه و محوه و نسيانه، أو يتعذر عليها نسيانه على مر الأزمنة التاريخية، هنا يكمن الأثر النفسي الذي ذكرناه سالفا.. لنستنتج أن الوصول إلى الذاكرة ليس دائما متاحا، و كأننا نستحضر مفهوم الوعي الذي له دور كبير في تجاوز الأحداث من حضورها الذي يعتبر بدوره عنصر فعال في تأسيس الذات الإنسانية، فالوعي بالذات هو اعتراف بهويتها في الوجود.

و في هذا السياق يناقش ريكور الذاكرة و علاقتها بالنسيان من خلال الأمراض التي تتعرض لها الذاكرة، كمرض الأمينزيا L'amnésie ما يعرف بمرض "فقدان الذاكرة" و هو حالة باثولوجية، ليتضح بهذا أن النسيان هو تعطيل لوظائف الذاكرة في عدة جوانب.

كما قد يخضع النسيان للمقاربة التأويلية التي تتكلم عن هشاشة الإنسان، أي الانتقال من المقاربة العلمية لعلم الأعصاب إلى المقاربة الهرمونيطقية للوضع البشري، و ذلك بالتمييز بين آثار الخلايا الدماغية و الآثار ذات الانطباع الأول كالأثر العاطفي الذي يترك في الذات و غيرها من التأثيرات الأخرى التي تختلف من حيث البقاء و الدوام، ليقر بذلك ريكور أن العلوم العصبية من شأنها تأسيس العلاقات المكانية بين الذاكرة و النسيان، أما أساس المشكلة و البحث فيما يخص الذاكرة و النسيان مقترن بفكرة الزمان عند ريكور، أي غياب الشيء المدفون في الماضي بالبعد الزمني المستدرك من خلال الاسترجاع و الاعتراف الذي يكون من دون إلغاء الزمن الماضي، و هذا ما يدل على أن بقاء و ثبات الانطباعات العاطفية المحددة بالبعد الزمني للصور تطفو على سطح الوعي...

فالاعتراف بامتلاك الماضي هو ما يميز الذاكرة، كما أن الذاكرة ليست مجرد تذكر الماضي بل هي اعتراف بأن هذا الماضي قد كان في زمن و انتهى (ريكور، 2009، صفحة 518).

7- النسيان و مسألة التسامح :

يشير ريكور إلى أن الإنسان يجب عليه أن يمر باعتبار النقد للتاريخ و دور الزمان قبل الوصول إلى النسيان، أي التأمل في التاريخ و الوقت و زمانية التاريخ، بالإضافة إلى القوى المدرجة في الذات كسلطة أخرى تتعلق بالهوية السردية للفرد " القدرة على التذكر " في تحليله لزمنية الذاكرة و التاريخ، حيث يكون هنا التركيز على المستقبل و ليس على الماضي. (ريكور، 2009، صفحة 476)

كما يعين النسيان و التسامح بشكل منفصل أو مشترك أفق جميع أبحاثنا. (ريكور، 2009، صفحة 536) إذ هناك النسيان المرضي و النسيان المتلاعب به و النسيان المطلوب و العفو، و هنا يتقاطع النسيان مع التسامح إما في عمل قضائي للدولة أو غير ذلك، كالعفو و النسيان المؤسسي الذي يهدف إلى وضع الحد للاضطرابات المدنية. (ريكور، 2009، صفحة 593)

و في هذا السياق قد أدرج ريكور أربعة أنواع من الأخطاء و الذنوب ألا و هي الذنب الجنائي، السياسي، الأخلاقي و الميتافيزيقي، معتبرا الذنب الجنائي من الجرائم التي هي ضد الإنسانية و ليست متناسية، و بالتالي لا تغتفر، أما الذنب السياسي يتعلق بالمواطنين الذين ترتكب الدولة جرائم في حقهم، أما الذنب الأخلاقي و هو شخصي أي عندما نرتكب الخطأ و نطلب العفو و المغفرة من دون أي إكراه بل كاعتراف من الذات الخاطئة.

هنا يجدر الإشارة إلى فعل الاعتراف و عملية الغفران، كأن أغفر لك و أسامحك فهذا في حد ذاته اعتراف بالذنب و الباطل ليأتي العفو بشكل فعلي. (ريكور، 2009، صفحة 630) لنخلص بذلك إلى المفارقة التي تنم على أن الفجوة تكمن بين الخطأ الذي لا يغتفر و الغفران المستحيل. (ريكور، 2009، صفحة 637)

إن مسألة العفو تفتح مجال التسامح الذي يقصده ريكور في كتابه (الذاكرة، التاريخ، النسيان) بالغفران. إذ يرى أن الحد الفاصل بين العفو و فقدان الذاكرة هو الصفح، لذا يجب التمييز بين الغفران الذي يكون بين الإله و عباده. و العفو الذي يتم بين الحاكم و المحكوم. و الصفح أي التسامح الذي يكون بين الذات و الآخر. (ريكور، 2009، صفحة 661)

الآخر ذات عاقلة تعايش غيرها و العدالة هي فضيلة من أجل الآخر حسب أرسطو، لذا يشير ريكور إلى واجب الذاكرة الذي هو واجب إقامة العدل عن طريق تذكر الآخر الذي هو غيرنا، لأن فضيلة العدل تدرج الآخر طوعا في حياة الذات، و تذكر الغير هو جزء من تاريخنا، لأن تجاوز

الفصل بين الذات و الآخر هو تجاوز لإمكانية القول عنا أو عنهم، يعني "إن لم يعودوا موجودين لكنهم سبق و أن كانوا". و منه كلما تواصل أفراد المجتمع كلما اتفقت ذاكرة الذات مع ذاكرة الآخر. (ريكور، 2009، صفحة 148)

أما عن مسألة الصفح التي أشار إليها ريكور بين الذات و الآخر، فهو لا يقصد به السكوت عن الشر و إنما كواجب لابد منه لمحاكاة السلم و درء العنف، لذا يعتبر الصفح حلا لمشاكل الذاكرة و التاريخ و النسيان معا. حتى و إن كان الصفح ليس سهلا لكنه ليس مستحيلا. (ريكور، 2009، صفحة 663)

كما يشير ريكور إلى طلب الصفح بالعطاء و الهبة و الوعد هو ما يسمح بالحصول على ذاكرة سعيدة، لذا الصفح يساهم في شفاء الذاكرة و يمنحها مستقبلا، فيؤسس بذلك إشعاعا لروح السلام وعاملا أساسيا في تحقيق ذاكرة سعيدة فردية كانت أو جماعية، و هذا ما يساهم فعلا في تأسيس الذات الإنسانية وفق سبل السلام للتعايش مع ذات نفسها كآخر و مع الآخر الذي هو غيرنا. (ريكور، 2009، صفحة 254)

8- دور التسامح في عملية النسيان و تأسيس ذات الإنسان :

أكد ريكور في كتابه "التاريخ و الحقيقة" أن العنف ملازم للإنسان و موجود معه طيلة تاريخه، وخير دليل على ذلك قيام و انهيار الإمبراطوريات، حروب الديانات، و الصراعات الإيديولوجية، فكل منها يولد العنف بين الطرفين، و لتهدئة الأوضاع و تجاوز النزاعات القائمة غالبا ما نسعى إلى نسيان الحدث، و لا يكون هذا إلا بضرورة التحلي بقيمة التسامح. (Ricoeur p. , 1955, p. 225)

فالتسامح مبدأ أخلاقي مقصده احترام الذات الإنسانية، لذا إذا استطاع الإنسان أن يكون متسامحا فهذا يعني أنه قادر على احترام الآخر، الاحترام الذي يكرس بدوره الاعتراف بالآخر لتحقيق إرادة العيش، و هذا الأمر يتعلق بمسألة أخلاقية التي تفرض علينا احترام الآخر، حتى لا تخرج من حيز الإنسانية خاصة لما يتعلق الأمر بالخصم. (بول، 2008، صفحة 182)

هنا تكمن قيمة التسامح من جهة و قيمة النسيان من جهة أخرى، و مدى مساهمتهما في تأسيس ذات الإنسان وفق سبل أخلاقية قائمة على الاحترام و الاعتراف و التسامح من خلال تفهم و تقبل الاختلاف أو حتى الخلاف مع الآخر سواء كان عين الذات أو الغير.

و هنا تظهر أيضا قيمة التسامح كشهادة عن قوة الفكر الذي لا يخشى الآخر، بل يتحمله حتى وإن اختلف عنه و لم يتوافق معه بغية الحفاظ على سلامة العلاقة بينهما، لأن كواجب على الذات الإنسانية تفهم ذوات طريقة عيش الآخر لضمان سلامة العلاقات سواء بين الأفراد أو بين المجتمعات.
(paul, 1997, p. 99)

لذا يساعد النسيان و التجاوز بالتسامح دون العنف على انتقال الذات من فهم اختلاف الآخر إلى قبوله، بدلا من إقصائه لتصبح قيمة التسامح أو كما يسميها ريكور بالغفران كفضيلة على المستوى الأخلاقي و الثقافي.. و بالتالي يتضح أن التسامح يساعد على النسيان و سلامة الذاكرة للتخلص من الحوادث المؤلمة و من كل إساءة تعرضت لها، و ذلك بغية تخطي محورية الأنا و الابتعاد عن تفاهة الخطاب حول التسامح. (paul، 1997، صفحة 100)

9- الخاتمة :

فمن خلال هذا العرض يتضح أن جدلية الذاكرة و النسيان لا تزال قائمة في ذات كل إنسان في شكل رهان و تحدي بين قوة فعل التذكر من جهة و شبح النسيان من جهة أخرى. النسيان الذي أخذ مشروعيته في فلسفة ريكور باعتباره ذريعة لجعل الذاكرة سعيدة تتخلص من كل ذكريات تسيء عملها من ناحية، و باعتباره شبح و طابوا أصبح يهدد سلامة الذاكرة و واجبها من ناحية أخرى.

ليخلص بذلك ريكور إلى اعتماد التسامح أو ما سمّاه "بالغفران" في كتابه "الذاكرة، التاريخ، النسيان" كمبدأ أخلاقي يثبت أنطولوجيا الذات الإنسانية من خلال اعترافها بالآخر و العفو عنه لتحقيق إرادة وسلامة العيش المشترك، و لا يكون ذلك إلا بتجاوز و نسيان أحداث الماضي و تطهير الذاكرة من كل ذكرى تسيء لها، و بالتالي تؤثر سلبا على البنية النفسية لذات الإنسان.

و في الأخير نستنتج أن ظاهرة النسيان لم تكن مجرد حالة باثولوجية كما عهد مفهومها الفكر البشري فحسب، بل اتضح جليا مع استنتاجات بول ريكور مدى جوانبها الإيجابية لتخليص و تحرير الذات

الإنسانية من قيود الماضي و جراحه و ذكرياته الأليمة، لإعادة الاعتبار و النظر في الذات مع الوعي بها، وفق تكريس مبادئ و أسس ايتيقية محكمة، كقيم التسامح و الاعتراف.. التي تضمن سلامة العلاقات الإنسانية (الأنا و الآخر) لا سيما ضمان العيش المشترك بذاكرة سعيدة سواء فردية كانت أو جماعية.

إلا أن اللجوء إلى التسامح و الغفران باعتماد التجاوز و النسيان ليس دائما يساعد الذاكرة في أداء عملها و واجبها، و بالتالي قد يكون إهانة للذات الإنسانية و إجحاث في حقها، لأن كثرة التسامح عند كل خطيئة أو أذى يرتكب في حق الذات عمدا يؤدي إلى اضمحلال شخصيتها و ذهاب هيبتها وفقدان كرامتها مع الآخر.

مما يؤسس بدوره إلى حدوث نزاع في العلاقة بين الطرفين بدلا من التفاهم، ناهيك عن الذاكرة التي عوض أن تعمل بالتفكير في كيفية إعادة الاعتبار للذات ستكتفي بالغفران و النسيان كذريعة، و هذا ما سيعطل عملها و لا يجدي نفعها كسلطة رهينة بمسؤولية تأسيس الذات. لذا ما أبان به ريكور قد يؤخذ به بصفة نسبية تنحوا وفق سبل ايتيقية راهنة الحدث و ممكنة جدا، ليست بمتعالية أيضا.

لنخلص في القول أن فعل التحدي يبدوا قائما بين قوة الذاكرة و سطو النسيان في تأسيس الذات الإنسانية، وذلك حسب رهان الحدث الذي يكون قائما في شغل الذاكرة.

10- قائمة المصادر و المراجع :

أولا: باللغة العربية

1-ريكور بول، الذاكرة. التاريخ. النسيان، ترجمة: زيناتي جورج، (بيروت، دار الكتاب الجديدة، 2009)، الطبعة الأولى.

2- ريكور بول، فلسفة الإرادة " الإنسان الخطّاء "، ترجمة: عدنان نجيب الدين، (المغرب، المركز الثقافي العربي، 2008)، الطبعة الثانية.

3- درويش حسام الدين، إشكالية المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور و علاقتها بالعلوم الإنسانية و الاجتماعية نحو تأسيس هيرمينوطيقا للحوار، (بيروت، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، 2016)، الطبعة الأولى.

4- إبراهيم خليل إبراهيم، فلسفة النسيان التنظيمي في إطار التعلم و المعرفة التنظيمية، مجلة العلوم الاقتصادية و الإدارية، المجلد 21، العدد 83، جامعة بغداد، العراق، 2015.

ثانيا: باللغة الأجنبية (الفرنسية)

1- Ricœur Paul, Le Dialogue des cultures dans aux sources de la culture Française, Edition du seuil, paris, 1997.

2- Ricœur Paul, la mémoire. L'histoire. L'oubli, Edition du seuil, paris, 2000.

3- Ricœur Paul, histoire et vérité, édition du seuil. Paris. 1955.

4- Dosse François, Le moment Ricœur de L'opération Historiographiques in vingtième siècle, revue d'histoire N° 69, janvier / mars, 2001.

5- Eamonn Callon, Réconciliation et éthique de la mémoire, publique in philosophiques vol 29 N° 02, 2002.